فاعلية الذات الاجتماعية وعلاقتها بمستوى الطموح والمسؤولية الشخصية في مرحلة المراهقة: دراسة وصفية تحليلية

أ . زهرة عبدالقادر مسعود صقر

جامعة الزاوية / كلية الآداب

Email: z.saqar@zu.edu.ly

الملخص

تناول هذا البحث استجلاء طبيعة العلاقة بين فاعلية الذات الاجتماعية من جهة، ومستوى الطموح والمسؤولية الشخصية من جهة أخرى، لدى عينة من المراهقين، انطلق البحث من إشكالية نظرية جوهرها أن الكفاءة في التعامل الاجتماعي ليست مجرد مهارة تواصلية، بل هي وسيط معرفي يُحرّك منظومة الطموح ويُرسّخ الشعور بالمسؤولية، اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واستندت إلى قراءة نقدية متعمقة للأدبيات النفسية الحديثة، وتحليل البنى النظرية الكبرى ذات الصلة، من نظرية باندورا للفاعلية الذاتية مروراً بنظرية المسار المهني المعرفي الاجتماعي (SCCT) لـــLent وزملائه، وصولاً إلى الدراسات التجريبية المعاصرة، خلص البحث إلى أن فاعلية الذات الاجتماعية تعمل بوصفها محوراً بنيوياً يُغذّي التوجه نحو المستقبل، ويدفع المراهق نحو استثمار طاقاته بصورة مسؤولة ومنضبطة، كما كشف التحليل عن تكامل عضوي بين المتغيرات الثلاثة، يستوجب توظيفه في تصميم البرامج الإرشادية والتربوية.

Abstract:

This study investigates the interrelationships among social self-efficacy, ambition level, and personal responsibility in adolescence, adopting a descriptive-analytical approach grounded in a critical reading of contemporary psychological literature. Drawing on Bandura's social cognitive theory, Lent *et al.*'s Social Cognitive Career Theory (SCCT), and recent empirical studies, the analysis reveals that social self-efficacy functions as a structural mediator—fuelling future-oriented aspirations while reinforcing responsible, self-regulated behaviour. The findings underscore an organic integration of the three constructs, with significant implications for counselling programme design and educational intervention.

استلام الورقة: 2026-02-16 - قبول الورقة: 2026-02-24 - نشر الورقة: 2026-03-02

الكلمات المفتاحية : فاعلية الذات الاجتماعية، الطموح، المسؤولية الشخصية، المراهقة، النظرية المعرفية الاجتماعية.

Keywords: social self-efficacy, ambition, personal responsibility, adolescence, social cognitive theory.

1- المقدمة

ثمة قناعة راسخة في علم النفس التنموي مفادها أن مرحلة المراهقة ليست مجرد جسر عبور بين الطفولة والرشد؛ إنها ورشة حقيقية لبناء الهوية وصياغة المسارات الحياتية، وفي قلب هذه الورشة، تتشابك عوامل نفسية لا يمكن فهم أيٍّ منها بمعزل عن الأخريات، فاعلية الذات الاجتماعية، والطموح، والمسؤولية الشخصية—ثلاثة مفاهيم كثيراً ما جرى البحث فيها على نحوٍ منفصل، غير أن النظرة الثاقبة إلى تشابك مساراتها تكشف عن نظام متكامل يشبه في آليته توليد الطاقة: كل مكوّن يُغذّي الآخر ويُحرّكه.

لقد وضع Bandura (1997) حجر الأساس بتعريفه للفاعلية الذاتية بوصفها الحكم الذاتي على القدرة في أداء الأنشطة اللازمة للوصول إلى نتائج محددة، وعلى الرغم من أن هذا المفهوم العام قد نال حظاً وافراً من الدراسة، فإن الفاعلية الذاتية الاجتماعية—أي إدراك الفرد لكفاءته في المواقف التفاعلية مع الآخرين—ظلت في حاجة إلى مزيد من التعمق التحليلي، ولا سيما حين يتعلق الأمر بعلاقتها بمتغيرَي الطموح والمسؤولية الشخصية.

ما الذي يجعل مراهقاً ما يضع أهدافاً طموحة ثم يعمل بدأب لبلوغها، فيما يكتفي آخر بالأحلام دون خطوات؟ الإجابة المختزلة قد تشير إلى الذكاء أو الدعم الأسري، لكن الأدلة المتراكمة في الدراسات الطولية—كتلك التي أجراها Do وزملاؤه (2025) على عينة من طلاب المرحلة الثانوية—تُبيّن أن الشعور بالكفاءة في العلاقات الاجتماعية يُمثّل وسيطاً جوهرياً بين الدعم البيئي وإنجاز التوجه نحو المستقبل.

يسعى هذا البحث إذن إلى تحليل هذه العلاقة الثلاثية بعمق نظري، عبر قراءة نقدية للمفاهيم، وتتبع مسارات التأثير بين المتغيرات، واستخلاص توصيات إجرائية قابلة للتطبيق في السياق التربوي والإرشادي.

1.1 مشكلة البحث وتساؤلاته

تنبثق إشكالية هذا البحث من ملاحظة نظرية وتطبيقية في آن واحد: كثير من برامج التنمية المهارية والإرشاد النفسي تتناول فاعلية الذات بصورة عامة، وقليل منها يُعنى بالبُعد الاجتماعي تحديداً كمدخل لتعزيز الطموح وترسيخ المسؤولية لدى المراهق، ومن ثمّ، يدور البحث حول ثلاثة تساؤلات محورية:

1. ما طبيعة العلاقة النظرية بين فاعلية الذات الاجتماعية ومستوى الطموح في مرحلة المراهقة، وما الآليات المعرفية الاجتماعية التي تُفسّر هذه العلاقة؟
2. كيف تتشكّل العلاقة بين مستوى الطموح والمسؤولية الشخصية لدى المراهق، وهل يمكن اعتبار الطموح منبئاً بمستوى المسؤولية أم أن العلاقة أكثر تعقيداً من ذلك؟
3. ما النموذج التكاملي الذي يمكن استخلاصه لتفسير التشابك الوظيفي بين المتغيرات الثلاثة، وما الأثر التطبيقي لهذا النموذج في تصميم التدخلات الإرشادية؟

2.1 أهداف البحث

1. تحليل المفهوم النظري لفاعلية الذات الاجتماعية وتمييزه عن المفاهيم المجاورة في الأدبيات النفسية الحديثة.
2. استيعاب العلاقة التبادلية بين الفاعلية الذاتية الاجتماعية ومستوى الطموح في ضوء نظرية المسار المهني المعرفي الاجتماعي.(SCCT)
3. تقديم قراءة تحليلية لمفهوم المسؤولية الشخصية في سياق مرحلة المراهقة، مع الكشف عن مصادر نموّها ومحدداتها.
4. بناء نموذج تكاملي يوضح مسارات التأثير المتبادلة بين المتغيرات الثلاثة.
5. اشتقاق توصيات إجرائية تُمكّن المرشدين والمعلمين من توظيف هذا النموذج في السياق التطبيقي.

3.1 أهمية البحث

1.3.1 الأهمية النظرية

يسدّ هذا البحث فجوة في الأدب النفسي العربي المتعلق بالتكامل بين المتغيرات الثلاثة—لا تناولها منفردة—ويُقدم إطاراً مرجعياً يمكن توظيفه في تصميم الدراسات الميدانية اللاحقة، كما يُسهم في الحوار العلمي الدائر حول أثر الفاعلية الذاتية في تشكيل طموحات المراهق، وهو حوار لا يزال في طور التطور وفقاً لأحدث الدراسات الطولية.

4.2 الأهمية التطبيقية

على الصعيد التطبيقي، يُزوّد هذا البحث المرشدين التربويين ومصممي البرامج الإرشادية بإطار متكامل يُرشد عملية التدخل؛ إذ بدلاً من العمل على الطموح أو المسؤولية بصورة مباشرة وعزلية، يُقترح العمل على الكفاءة الاجتماعية كمحرّك أساسي يُفضي بصورة طبيعية إلى الارتقاء بالمتغيرين الآخرين.

2- الإطار النظري

1.2 المبحث الأول: فاعلية الذات الاجتماعية—المفهوم والأبعاد

1.1.2 تعريف المفهوم وتمييزه

حين طرح Bandura (1997) نظرية الفاعلية الذاتية، أرسى مبدأً جوهرياً: إدراك الشخص لقدرته ليس مجرد انعكاس موضوعي لما يمتلكه من مهارات، بل هو بناء ذاتي ذو طابع توقعي يتوسط العلاقة بين الإمكانات والسلوك الفعلي، ومن هذه الأرضية النظرية الخصبة ظهر مفهوم الفاعلية الذاتية الاجتماعية كصياغة أكثر تخصصاً: إنها ثقة الفرد في قدرته على إقامة علاقات اجتماعية مُرضية، والانخراط في تفاعلات جديدة، والتعامل مع المواقف الاجتماعية الضاغطة.

ميّز Smith & Betz (2000) هذا المفهوم عن سواه بأداة قياسية دقيقة، وأظهرا أن الأفراد ذوي الفاعلية الاجتماعية المرتفعة يُقدمون على التجارب التواصلية الجديدة، ويسترجعون بعد الإخفاقات الاجتماعية بصورة أسرع، وتدعم الأدبيات العربية هذا التمييز؛ حيث يوضح العدل (2001) أن فعالية الذات ترتبط بالقدرة على حل المشكلات الاجتماعية، مما يعني أن المقياس الحقيقي ليس مجرد الحضور الاجتماعي، بل هو توقع النجاح في إدارة الموقف التفاعلي بكفاءة، وهذا ما أكده فريحات (2017) بربطه بين الذكاء الاجتماعي والفعالية الذاتية، معتبراً إياهما منظومة متكاملة لإدارة التفاعلات الناجحة.

2.1.2 مصادر فاعلية الذات الاجتماعية في المراهقة

حدّد Bandura (2001) أربعة مصادر أساسية لبناء الفاعلية الذاتية: التجارب التحكّمية الناجحة، والتعلم بالنمذجة، والإقناع اللفظي الاجتماعي، والحالات الانفعالية والفيزيولوجية، وحين تُطبَّق هذه المصادر على الجانب الاجتماعي تحديداً في المراهقة، تظهر تعقيدات مثيرة: جماعة الأقران تُمثّل مصدراً للنمذجة والإقناع في آنٍ معاً، وأي صدمة اجتماعية مبكرة كالرفض أو التنمر، قد تُخلّ بالتوازن بين هذه المصادر وتُفضي إلى بناء توقعات سلبية متجذّرة.

تكشف نتائج Sagone وآخرون (2020) أن المراهقين ذوي الفاعلية الذاتية المرتفعة—بما فيها الجانب الاجتماعي—يُظهرون مرونة نفسية أعلى في مواجهة الضغوط المدرسية والاجتماعية مقارنة بنظرائهم، هذه النتيجة ليست مفاجئة إذا أدركنا أن الشعور بالكفاءة يوفر نوعاً من الوقاية الداخلية تجاه الإخفاق.

3.1.2 الفاعلية الاجتماعية والتكيّف النفسي

تربط الدراسات هذا المتغير بطيف واسع من مؤشرات الصحة النفسية، فقد أظهرت نتائج Smith & Betz (2002) أن كلاً من الفاعلية الذاتية واحترام الذات يرتبطان بأعراض الاكتئاب بصورة غير مباشرة، عبر متغيرات وسيطة كالتردد المهني والخجل الاجتماعي، وما

يجعل هذه النتيجة مثيرة للاهتمام النظري هو أنها تُشير إلى أن الفاعلية الاجتماعية لا تُنبئ بمسارات النجاح فحسب، بل تُشكّل أيضاً منظومة الحماية من الاضطرابات الداخلية.

2، 2المبحث الثاني: مستوى الطموح—تحليل بنيوي

1.2.2 الطموح بين التعريف والقياس

ما الطموح؟ سؤال بديهي يستدعي إجابة دقيقة، ليس الطموح تمنياً، وليس مجرد استشراف للمستقبل؛ إنه—من منظور نفسي صارم—منظومة من التوقعات المُقيَّمة ذاتياً حول مستويات الأداء المستهدفة، وتلك التوقعات موصولة بصورة وثيقة بمفهوم الفرد عن كفاءاته وإمكانياته، من هنا يُدرك المرء سبب ارتباط الطموح بالفاعلية الذاتية ارتباطاً عضوياً؛ فلا يمكن للمرء أن يضع هدفاً يصدّق في قرارة نفسه أنه لن يبلغه.

أما على صعيد القياس، فقد كشفت دراسة علي (2020) في السياق العربي أن الفاعلية الذاتية تُمثّل منبئاً قوياً بمستوى الطموح لدى عينة طلابية، وأن كليهما يُسهمان في التنبؤ بالشعور بالسعادة والرضا عن الذات، ويتسق هذا مع ما ذهب إليه عليوة ومحمد (2020) من أن الإبداع الانفعالي يسهم في تشكيل هذا الطموح، مما يعني أن الطموح ليس متغيراً مستقلاً يُضاف إلى حياة المراهق من الخارج، بل هو نتاج طبيعي لبناء داخلي مترابط يجمع بين الكفاءة المعرفية والنضج الانفعالي.

2.22، نظرية SCCT ودورها في تفسير الطموح

قدّم Lent وآخرون (1994, 2008) نظرية المسار المهني الاجتماعي المعرفي (SCCT) بوصفها إطاراً شاملاً يربط الفاعلية الذاتية بتوقعات النتائج وبالاهتمامات والأهداف المهنية، ما يميّز هذا الإطار هو أنه لا يعامل الطموح كمعطى ثابت، بل كمحصّلة ديناميكية تتشكّل وفق مسارات معرفية متشابكة.

المراهق الذي يُدرك كفاءته في التعامل الاجتماعي—أي ذو الفاعلية الاجتماعية المرتفعة—يبني توقعات نتائج إيجابية، ومن ثمّ يرفع سقف أهدافه وتطلعاته، في المقابل، المراهق الذي يحمل صورة سلبية عن تفاعلاته الاجتماعية يُضيّق نطاق خياراته المستقبلية قبل حتى أن تُختبر ميدانياً، وهذا ما أكده النجار (2014) في نموذجه البنائي، حيث أن الفعالية الذاتية الانفعالية هي المحرك لاتخاذ قرارات مهنية طموحة ومسؤولة في آنٍ واحد.

3.2.2 الطموح والتوجه نحو المستقبل

أثبت Do وآخرون (2025) في دراسة طولية أن الدعم المبكر من الوالدين والمرشدين يرتبط بشعور المراهق بالهدف والغاية، الذي يتوسط العلاقة بين هذا الدعم والفاعلية الذاتية التوجيهية نحو المستقبل، النتيجة لافتة: الدعم الخارجي وحده لا يكفي إن لم يُصاحبه بناء معنى داخلي وقوة دافعة لدى المراهق.

وهنا تبرز أهمية "التربة الاجتماعية": فوفقاً لـعربيات وحمادنة (2014)، فإن البيئة التعليمية والتحصيل الدراسي يساهمان في صياغة فاعلية الذات التي بدورها تُحدد ملامح التوجه نحو المستقبل، ما تكشفه هذه النتائج مجتمعةً هو أن الطموح الحقيقي ينمو حين تلتقي ثلاثة مكوّنات: بيئة داعمة، وفاعلية ذاتية مُختبَرة، وإحساس بالغاية، غياب أي منها يُنتج ما يُمكن تسميته بـ"الطموح الهش" حضور الحلم مع غياب الإمكانية الذاتية لملاحقته، وهو ما يستدعي تدخلات إرشادية نوعية كما اقترح زيدان والفقي (2016) لترميم الفاعلية الذاتية كمدخل لرفع مستوى الطموح الواقعي.

3.2 المبحث الثالث: المسؤولية الشخصية في المراهقة

1.3.2 تحديد المفهوم وتطوّره

المسؤولية الشخصية بالمعنى النفسي الدقيق هي قدرة الفرد على الإقرار بأن أفعاله وقراراته جزء من مسؤوليته الحرة، وأن نتائجها إيجابية كانت أم سلبية مرتبطة بما يختاره، هذه ليست مجرد مسألة أخلاقية تربوية، بل هي بُعد نفسي يتطور تدريجياً عبر مراحل المراهقة، ويرتبط بنضج الوظائف التنفيذية وببناء الهوية.

طوّر Mergler & Shield (2016) مقياساً خاصاً للمسؤولية الشخصية لدى المراهقين، وأثبتا أن هذا البُعد ذو تركيب متعدد الأوجه يشمل: الاعتراف بالعواقب، والنزاهة في مواجهة الضغوط الاجتماعية، والثبات على الالتزامات حين تواجهها إغراءات التراجع، وما يجعل هذا النموذج ذا قيمة تحليلية عالية هو أنه لا يربط المسؤولية بالامتثال للقواعد فحسب، بل بالاختيار الحر المبني على وعي حقيقي بالذات.

وتدعم الأدبيات العربية هذا التوجه النفسي؛ حيث يشير العدل (2001) إلى أن القدرة على حل المشكلات الاجتماعية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفعالية الذات، مما يعزز من قدرة المراهق على تحمل تبعات حلوله وخياراته، كما يؤكد النجار (2014) في نموذجه البنائي أن مهارات اتخاذ القرار لدى طلاب الجامعة والمراهقين هي الوجه التطبيقي للمسؤولية؛ فالفرد الذي يمتلك فعالية ذاتية انفعالية يكون أكثر قدرة على اتخاذ قرارات مسؤولة وثابتة.

علاوة على ذلك، فإن تطور هذا المفهوم يرتبط بالذكاء الاجتماعي والقدرة على التفاعل مع الآخرين؛ فكما أوضح فريحات (2017)، فإن الفعالية الذاتية والذكاء الاجتماعي يمهدان الطريق للمراهق ليدرك دوره ومسؤوليته ضمن النسيج الاجتماعي، وبذلك، تنتقل المسؤولية من كونها "واجباً" مفروضاً من السلطة الوالدية أو المدرسية إلى "التزام" نابع من هوية المراهق وقدرته على تقرير مصيره، وهو ما ينسجم مع أحدث الدراسات التي تربط بين الكفاءة الذاتية والرفاهية النفسية (علي، 2020).

2.3.2 العلاقة بين الهوية والمسؤولية

أثبتت Watson وآخرون (2021) في دراسة نوعية وجود علاقة تبادلية وثيقة بين هوية الذات والمسؤولية الشخصية؛ فالمراهق الذي يحمل هوية ذاتية متماسكة يُبدي استعداداً أكبر لتحمّل المسؤولية، لأنه يرى في أفعاله امتداداً لمن يكون لا عبئاً خارجياً مفروضاً، وهذه النتيجة تفتح الباب أمام تساؤل محوري: هل المسؤولية الشخصية في المراهقة شرط لبناء الهوية، أم أنها نتاج لها؟

الأرجح أن العلاقة دائرية لا خطية؛ تمنح الهوية المتشكّلة المراهقَ أرضية ثابتة يمكنه من خلالها تحمّل تبعات خياراته، فيما يُقوّي تحمّل المسؤولية الهويةَ ويُرسّخها في المقابل، وتدعم الأدبيات العربية هذا الطرح من زاوية الفاعلية الذاتية؛ حيث يشير العدل (2001) إلى أن القدرة على حل المشكلات الاجتماعية (وهي مظهر من مظاهر الهوية الفاعلة) ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفعالية الذات، مما يعزز من قدرة الفرد على تحمل المسؤولية تجاه خياراته.

كما يرى النجار (2014) أن اتخاذ القرار الرصين الذي يعد جوهر المسؤولية يرتبط بالفعالية الذاتية الانفعالية، مما يعني أن المراهق الذي يعرف "من هو" وماذا "يريد" (هوية ناضجة) يكون أكثر قدرة على اتخاذ قرارات مسؤولة، وفي هذا السياق، تبرز أهمية البرامج الإرشادية التي تناولها زيدان والفقي (2016) في تحسين فاعلية الذات، والتي تعمل بشكل غير مباشر على تدعيم الهوية الشخصية من خلال تمكين المراهق من أدوات الفعل والمسؤولية.

إنها "حلقة حميدة" تبدأ بوعي المراهق بقدراته (فاعلية الذات)، وتمر بصياغة أهدافه (طموحه)، وتنتهي بتحمله لتبعات أفعاله (مسؤوليته)، وهو ما يفضي في النهاية إلى شعور عميق بالسعادة والرضا الذاتي كما أكدت علي (2020).

3.3.2 المسؤولية الاجتماعية الشخصية

أضاف Wancham وآخرون (2025) بُعداً جوهرياً بتطوير مقياس المسؤولية الاجتماعية الشخصية للمراهقين، والذي يتجاوز حدود المسؤولية الفردية المنغلقة نحو الشعور بالالتزام تجاه المجموعة والمجتمع ككل، يتجلى هذا المفهوم في خمسة أبعاد رئيسية تشكل ملامح المواطنة المسؤولة لدى المراهق: (الاقتصادي، والقانوني، والبيئي، والأخلاقي، والخيري).

هذا التوسيع في المفهوم يُعد ذا أهمية نظرية بالغة؛ لأنه يربط الفاعلية الذاتية الاجتماعية بمسؤولية تتجاوز حدود الذات لتشمل الصالح العام، فالمراهق الذي يمتلك فاعلية ذاتية عالية في حل المشكلات الاجتماعية كما أشار العدل (2001) يصبح أكثر قدرة على استيعاب هذه الأبعاد الخمسة، حيث يرى في قدراته التفاعلية أداة للتغيير البيئي والأخلاقي والخيري.

علاوة على ذلك، فإن البعد الأخلاقي والقانوني في هذا المقياس يتسق مع ما ذهب إليه النجار (2014) من أن مهارات اتخاذ القرار ترتبط بالفعالية الذاتية الانفعالية؛ فالمسؤولية الاجتماعية هنا ليست مجرد شعور، بل هي قرارات واعية يتخذها المراهق للالتزام بالقوانين وحماية البيئة والمشاركة في الأعمال الخيرية.

إن هذا المزيج بين الفاعلية الاجتماعية والطموح المنضبط بالمسؤولية، يُحول المراهق من مجرد "طالب علم" إلى "شخصية قيادية" قادرة على العطاء، وكما أكدت علي (2020)، فإن هذا النوع من الالتزام الاجتماعي يعزز الشعور بالسعادة والرضا الذاتي، حيث يجد المراهق معنىً لوجوده من خلال أدواره المسؤولة تجاه مجتمعه بشتى أبعادها.

4.2 المبحث الرابع: المقاربة التكاملية—ميكانزمات التأثير المتبادلة

1.4.2 الفاعلية الاجتماعية كمحرّك للطموح

ثقة المراهق في قدراته التفاعلية تُفضي عبر آليتين رئيسيتين إلى رفع سقف طموحاته: الأولى معرفية، والثانية اجتماعية.

معرفياً، يُخفّف الشعور بالكفاءة الاجتماعية ما يمكن تسميته بـ"قلق الفشل الاجتماعي"—ذلك التخوف المزمن من الرفض أو السخرية الذي يُكبّل كثيراً من المراهقين حين يقتربون من أهداف تستدعي التواصل والمبادرة، وتؤكد علي (2020) أن فاعلية الذات ومستوى الطموح يُعدان منبئين قويين للحالة النفسية الإيجابية، حيث تعمل الفاعلية كدرع يقلل من وطأة الضغوط الاجتماعية، كما يشير العدل (2001) إلى أن الفعالية الذاتية تمنح المراهق القدرة على التوجه نحو "المخاطرة المحسوبة" في حل المشكلات الاجتماعية، وهو ما يفتح الباب أمام طموحات لم يكن ليجرؤ عليها في ظل ضعف فاعليته.

أما اجتماعياً، فتعمل النمذجة (Modeling) كما وثّق Bandura (2001) بوصفها مساراً مؤثراً؛ فحين يُحيط المراهق نفسه بنماذج اجتماعية ناجحة ويرى نفسه قريباً من مستواهم أي حين تكون الفاعلية الاجتماعية لديه كافية لدخول هذه الدوائر فإنه يمتص تطلعات هذه النماذج ويُدمجها في منظومة أهدافه الخاصة، وتدعم دراسة عليوة ومحمد (2020) هذا الطرح، حيث تبيّن أن الإبداع الانفعالي يسهم في التنبؤ بمستوى الطموح، مما يعني أن القدرة على فهم وتمثيل انفعالات النماذج الناجحة ترفع من سقف التطلعات الذاتية، كما يرى فريحات (2017) أن الذكاء الاجتماعي هو المحرك الذي يغذي هذه الفاعلية، مما يسهل عملية الاقتداء والنمذجة في البيئات الأكاديمية والاجتماعية.

وبالتالي، إن الطموح لا يوجد في فراغ؛ إنه يُنضج في التربة الاجتماعية، وتلك التربة لا تُخصب إلا بقدر ما يُدرك المراهق كفاءته في حرثها والنمو فيها، وهذا ما يتفق مع الرؤية التي طرحها زيدان والفقي (2016) بأن تحسين فاعلية الذات عبر برامج التعلم الاجتماعي هو المدخل الأساسي لتطوير الدافعية والإنجاز.

2.4.2 من الطموح إلى المسؤولية: الالتزام كمتطلب

ثمة خطأ شائع في فهم العلاقة بين الطموح والمسؤولية، فالظن بأنهما خطان متوازيان لا يلتقيان، بينما الواقع النفسي أكثر تعقيداً وأكثر ثراءً؛ فالطموح الحقيقي لا يكتفي بصياغة الحلم، بل يستوجب أيضاً قبول الالتزامات المرتبطة بملاحقته، وهنا بالضبط تدخل المسؤولية الشخصية كشرط وظيفي لتحويل الطموح من "منتزه نفسي مريح" إلى مسار حياتي منتج ومثمر.

إن مراهقاً يرى نفسه طبيباً في المستقبل وهذا طموح يُدرك في مرحلة ما أن بلوغ هذا الهدف يستلزم انضباطاً في الدراسة وتأجيلاً للإشباع الفوري وتحملاً لأعباء التدريب الشاقة، هذا الإدراك الذاتي وقبوله دون انتظار إلزام خارجي هو جوهر المسؤولية الشخصية، ويتسق هذا مع ما توصل إليه النجار (2014) في نموذجه البنائي، حيث أن القدرة على اتخاذ القرار الرصين والنابع من فعالية ذاتية انفعالية هي الجسر الذي يربط بين الأهداف المستقبلية وبين واقع الالتزام بالمسؤولية.

وما يُشير إليه Handaka وآخرون (2024) من أن مستوى المسؤولية الشخصية يرتبط بمرحلة النضج العمري، يجد صدىً قوياً في الأدبيات العربية التي أكدت على دور المتغيرات النمائية والتربوية في صياغة هذه العلاقة؛ فقد أوضح عربيات وحمادنة (2014) أن متغيرات التحصيل الدراسي والنوع الاجتماعي تساهم في تشكيل فاعلية الذات، وهي المحرك الذي يدفع المراهق لتبني طموحات واقعية تتناسب مع قدراته الالتزامية.

من جهة أخرى، يرى عليوة ومحمد (2020) أن الإبداع الانفعالي يسهم في التنبؤ بمستوى الطموح، مما يعني أن المراهق الذي يمتلك نضجاً وذكاءً انفعالياً يكون أكثر قدرة على تحويل طموحاته إلى "التزامات" عملية، متجنباً الوقوع في فخ "الطموح الهش" أو الأهداف الهلامية، وبذلك، تصبح المسؤولية الشخصية هي الضمانة النفسية التي تحمي الطموح من الانهيار عند أول اختبار حقيقي، وتحوله إلى إنجاز ملموس يُعزز بدوره من شعور المراهق بالسعادة والرضا الذاتي في بيئته الجامعية أو المدرسية (علي، 2020).

3.4.2 الفاعلية الاجتماعية كمنبع للمسؤولية

الحلقة تكتمل حين نتأمل كيف تُغذّي الفاعلية الاجتماعية المسؤولية الشخصية مباشرةً لا عبر الطموح فحسب، المراهق الذي يدرك أنه "مؤثر" اجتماعياً—أي أن كلامه يُحدث أثراً في الآخرين وأفعاله تترك بصمة يُطوّر شعوراً متصاعداً بالمسؤولية تجاه هذا الأثر، هذه ليست مسؤولية مفروضة من الخارج، بل هي نتاج طبيعي للوعي بالفاعلية؛ فكلما زاد إدراك المراهق لكفاءته في التفاعل، زاد التزامه بالتبعات الأخلاقية والسلوكية لهذا التفاعل.

هذا التفسير يتسق مع ما أشارت إليه نظرية التعلم الاجتماعي المعرفي (Bandura, 2001) من أن الشعور بالوكالة الفاعلة (Agentic Sense) لدى الفرد يُرافقه شعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، وتدعم الأدبيات العربية هذا الطرح؛ حيث أشار العدل (2001) إلى أن فعالية الذات ترتبط بالقدرة على حل المشكلات الاجتماعية، وهو ما يتطلب في جوهره حساً عالياً بالمسؤولية الشخصية تجاه الخيارات المتخذة.

كما تبرز الأهمية الوظيفية لهذا الارتباط في قدرة المراهق على ضبط انفعالاته وقراراته؛ إذ يرى النجار (2014) أن الفعالية الذاتية الانفعالية تُعد ركيزة لمهارات اتخاذ القرار، وهي المهارات التي تمثل الوجه التطبيقي للمسؤولية الشخصية، وعلى هذا الأساس، يمكن القول إن برامج تعزيز الكفاءة الاجتماعية—مثل تلك التي استعرضها زيدان والفقي (2016) والقائمة على مبادئ التعلم الاجتماعي—تُحقق أثراً مزدوجاً: فهي تُعزز الفاعلية الذاتية وتُرسّخ في الوقت ذاته المسؤولية الاجتماعية، مما يجعل المراهق عنصراً فاعلاً وملتزماً في محيطه.

إن هذا التكامل بين الفاعلية والمسؤولية هو ما يمنح المراهق الشعور بالتوازن، فوفقاً لـ علي (2020)، فإن إدراك الفرد لقدراته (فاعليته) وتوجيهها نحو أهداف بناءة (مسؤولية وطموح) هو المنبئ الحقيقي لجودة الحياة النفسية والسعادة الذاتية.

5.2 نموذج مقترح للعلاقات التكاملية

بناءً على ما سبق، يمكن صياغة نموذج تكاملي يُجسّد العلاقات الوظيفية بين المتغيرات الثلاثة على النحو الآتي:

الفاعلية الذاتية الاجتماعية ← (مباشرة) مستوى الطموح؛ عبر آلية تخفيض قلق الفشل ورفع توقعات النتائج.

الفاعلية الذاتية الاجتماعية ← (مباشرة) المسؤولية الشخصية؛ عبر تعزيز الوعي بالأثر الاجتماعي وتنمية الشعور بالوكالة الفاعلة.

مستوى الطموح ← (مباشرة) المسؤولية الشخصية؛ عبر فرض متطلبات الالتزام والانضباط الذاتي اللازمة لملاحقة الأهداف.

المسؤولية الشخصية ↔ الهوية الذاتية؛ علاقة تبادلية تُعزّز كلٌّ منهما الأخرى.

هذا النموذج يتجاوز التصورات الخطية البسيطة نحو بنية دائرية متشابكة تُجسّد واقع النمو النفسي الاجتماعي في المراهقة بصدق أكبر.

3- منهجية البحث

اعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، وهو منهج يستدعي أكثر من مجرد سرد ما قالته الأدبيات—إنه يستوجب تحليل البنى المفاهيمية وتتبع مسارات التأثير بين المتغيرات واستخلاص نتائج تتجاوز مجموع مدخلاتها، تمثّلت مصادر البيانات في ثلاثة روافد: أولها الأدبيات النظرية الأصيلة (Bandura, 1997, 2001؛ Lent *et al.*, 1994, 2000)، وثانيها الدراسات التجريبية الحديثة المنشورة في مجلات مصنّفة خلال الفترة (2014-2025)، وثالثها أدوات القياس المعتمدة في الحقل كمقياس Smith & Betz (2000) للفاعلية الذاتية الاجتماعية ومقياس Mergler & Shield (2016) للمسؤولية الشخصية.

جرى تحليل هذه المصادر وفق إجراءات قراءة منهجية نقدية، تميّز بين ما هو نظري وما هو تجريبي، وتُقيّم مدى التوافق بين النتائج والإطار النظري الذي تنتمي إليه كل دراسة.

4- مناقشة النتائج التحليلية

1.4 دور الفاعلية الاجتماعية في ضوء الأدلة المتراكمة

ما تُثيره الأدبيات المراجَعة من تساؤلات حول الفاعلية الذاتية الاجتماعية هو أن هذا المتغير لا يعمل بمعزل عن السياق، فقد أثبتت الدراسات أن الدعم الاجتماعي المُدرَك يُعدّل العلاقة بين الفاعلية الذاتية والدافعية (Bagci, 2018)، وهو ما يتسق مع ما ذهب إليه فريحات (2017) من وجود ارتباط وثيق بين الذكاء الاجتماعي والفعالية الذاتية، حيث يشكل المحيط الاجتماعي (الأسرة، المدرسة، الأقران) الحاضنة الأساسية التي تنمو فيها هذه المهارات.

وتُشير الأدبيات العربية إلى أن هذه الفاعلية تتمايز بمتغيرات ديموغرافية وتحصيلية؛ حيث أكد عربيات وحمادنة (2014) أهمية مراعاة الفروق في النوع الاجتماعي والتحصيل عند دراسة فاعلية الذات لدى طلبة المرحلة الثانوية، كما يمتد أثر الفاعلية الذاتية ليشمل الجوانب الانفعالية والابتكارية؛ فوفقاً لـ غودل والشريدة (2023)، تظهر الفاعلية الذاتية كمتغير جوهري يرتبط بالابتكارية الانفعالية، مما يعزز قدرة المراهق على مواجهة التحديات بمرونة.

دراسة Pedditzi (2024) تقدّم رؤية إضافية تربط بين الرضا عن المدرسة والفاعلية الذاتية بنية النوايا نحو التسرب الدراسي، هذا الطرح يجد دعماً في الدراسات التي تناولت برامج التدخل؛ حيث أثبت زيدان والفقي (2016) أن البرامج الإرشادية القائمة على نظرية التعلم الاجتماعي تساهم بشكل فعال في تحسين فاعلية الذات، مما ينعكس إيجاباً على التوافق الأكاديمي والاجتماعي للمراهق.

2.4 الطموح بين التضخم والو اقعية

مسألة دقيقة تستحق الوقوف عندها: هل الطموح المرتفع دائماً صحي؟ تُشير الأدبيات إلى أن الطموح الصحي هو المقرون بتقييم واقعي للإمكانيات وبخطة عملية للمضيّ قدماً، وتؤكد علي (2020) أن فاعلية الذات ومستوى الطموح يُعدان منبئين قويين للشعور بالسعادة والرضا، شريطة أن يكون هذا الطموح متسقاً مع إدراك الفرد لكفاءته.

حين تنفصل الأهداف عن تقييم الكفاءة—أي حين يرتفع الطموح بمعزل عن الفاعلية الذاتية—ينتج ما يُعرف بـ"الطموح الهشّ"، وقد أشار عليوة ومحمد (2020) إلى أن الإبداع الانفعالي يسهم نسبياً في التنبؤ بمستوى الطموح وفعالية الذات، مما يعني أن النضج الانفعالي يعمل ككابح يمنع تضخم الطموح غير الواقعي.

ما يُوازن هذه المعادلة هو "المسؤولية الشخصية" المقترنة بمهارات اتخاذ القرار، فوفقاً لنموذج Mergler & Shield (2016)، تعمل المسؤولية كضابط لإيقاع الطموح، وهذا ما يدعمه النجار (2014) في نموذجه البنائي، حيث يربط بين الفعالية الذاتية الانفعالية ومهارات اتخاذ القرار كأدوات وظيفية تضمن تحويل الطموح إلى التزامات قابلة للتنفيذ، وفي سياق حل المشكلات، يوضح العدل (2001) أن فعالية الذات تلعب دوراً محورياً في قدرة الفرد على حل المشكلات الاجتماعية والتوجه نحو المخاطرة المحسوبة، مما يجعل الطموح عملية "مسؤولة" وواقعية لا مجرد اندفاع غير مدروس.

3.4 الفجوات البحثية والتساؤلات المفتوحة

رغم وفرة الأدلة، تبقى فجوات جديرة بالإشارة، أولاً، ندرة الدراسات الطولية في السياق العربي التي تتابع تطور المتغيرات الثلاثة عبر مراحل المراهقة المختلفة—وهذا عجز منهجي يُصعّب استنتاج مسارات السببية لا مجرد الارتباط، ثانياً، تركّز أغلب الدراسات على عينات غربية، في حين يتشكّل الطموح والمسؤولية في سياقات عربية وفق أنماط ثقافية وأسرية قد تختلف جوهرياً عن تلك السياقات.

5- الاستنتاجات

ثلاث استنتاجات نظرية كبرى تستخلصها هذه المقاربة التحليلية:

1. فاعلية الذات الاجتماعية ليست مجرد مهارة تواصلية قابلة للتعلم والنسيان؛ إنها وسيط معرفي-اجتماعي بنيوي يتوسط العلاقة بين إمكانات المراهق ومساراته الفعلية، أي برنامج إرشادي لا يُعالج هذا البُعد يعمل على حواف الظاهرة لا في جوهرها.
2. المسؤولية الشخصية في المراهقة لا تنمو بمعزل عن البيئة الاجتماعية المُدرَكة؛ مراهق يشعر بأنه غير مؤثر في محيطه لن تكون له دوافع قوية لتحمّل مسؤولية أفعاله، لأنه لا يُدرك أن لها صدى يستحق الاهتمام.
3. التكامل بين الفاعلية الذاتية الاجتماعية والطموح والمسؤولية الشخصية يُمثّل مؤشراً قوياً على ما يمكن تسميته "النضج النفسي-الاجتماعي"، وهو مفهوم يستحق أن يُطوّر له إطار تشغيلي قابل للقياس في البيئات العربية.

6- التوصيات

1.6 التوصيات التطبيقية

1. تصميم برامج إرشادية متكاملة تُعالج الفاعلية الاجتماعية كمدخل رئيسي—لا كهدف جانبي—وذلك عبر تدريب مهارات التواصل والتفاوض والتعامل مع الرفض، في بيئة آمنة تتيح التجريب والخطأ.

2. اعتماد استراتيجية "النجاحات المتدرجة (Mastery Experiences) "في البيئة المدرسية بصورة مقصودة ومنظمة، حيث تُتاح للمراهق فرص متزايدة الصعوبة لاختبار كفاءته الاجتماعية وتعزيزها.

3. دمج مكوّن "الوعي بالأثر الاجتماعي" في برامج التنمية الشخصية للمراهقين، وهو مكوّن يُنبّه المراهق لأن أفعاله تُحدث أثراً في محيطه—مما يُرسّخ الشعور بالمسؤولية بصورة طبيعية غير مفروضة.

4. توجيه جهود تطوير أدوات القياس نحو بناء مقاييس عربية مُقنَّنة تدمج بين الأبعاد الثلاثة في أداة شاملة للنضج النفسي-الاجتماعي للمراهق.

2.6 التوصيات البحثية

1. إجراء دراسات طولية في السياق العربي تتتبع مسارات التغير في المتغيرات الثلاثة عبر مراحل المراهقة المبكرة والوسطى والمتأخرة، لبناء قاعدة معرفية محلية موثوقة.

2. توظيف نماذج المعادلات البنائية (SEM) في الدراسات الكمية اللاحقة للكشف عن مسارات التأثير المباشر والغير مباشر بين المتغيرات في عينات عربية متنوعة.

المصادروالمراجع

أولاً: المراجع العربية

العدل، عادل محمد محمود (2001). تحليل المسار للعلاقة بين مكوّنات القدرة على حل المشكلات الاجتماعية وكل من فعالية الذات والاتجاه نحو المخاطرة. مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، 1(25)، 121-178. http://search.mandumah.com/Record/106362

عربيات، أحمد عبد الحليم عبد المهدي، وبرهان محمود حمادنة (2014). فاعلية الذات لدى طلبة المرحلة الثانوية في منطقة بني كنانة في ضوء متغيري النوع الاجتماعي والتحصيل. مجلة العلوم التربوية والنفسية، 15(1)، 90-109. http://search.mandumah.com/Record/508396

علي، نجوى حسن (2020). فاعلية الذات ومستوى الطموح كمنبئات للشعور بالسعادة لدى عينة من طالبات كلية المجتمع بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض. علم النفس، 33(126)، 201-219. http://search.mandumah.com/Record/1173908

عليوة، هناء رفعت عبد اللطيف، وجيهان علي محمد (2020). الإسهام النسبي للإبداع الانفعالي في التنبؤ بمستوى الطموح وفعالية الذات لدى طلبة كلية التربية بجامعة سوهاج. المجلة التربوية، 2(84)، 1036-1094. http://search.mandumah.com/Record/1141910

غودل، سمية بنت صالح سبيت، والشريدة، أمل صالح سليمان (2023). الفاعلية الذاتية وعلاقتها بالابتكارية الانفعالية لدى طالبات جامعة الملك عبد العزيز بجدة. مجلة الآداب للدراسات النفسية والتربوية، 5(1)، 103-133. https://doi.org/10.53285/artsep.v5i1.1379

فريحات، عمار عبد الله محمود (2017). الذكاء الاجتماعي وعلاقته بالفعالية الذاتية لدى طلبة كلية عجلون الجامعية. مجلة جامعة طيبة للعلوم التربوية، 12(2)، 207-225. http://search.mandumah.com/Record/994536

النجار، حسني زكريا السيد (2014). النموذج البنائي للعلاقة بين الإبداع الانفعالي وفعالية الذات الانفعالية ومهارات اتخاذ القرار لدى طلاب الجامعة بنها. مجلة كلية التربية، 25(98)، 101-144. http://search.mandumah.com/Record/652604

زيدان، وجدي عبد اللطيف، وأمال إبراهيم الفقي (2016). فعالية برنامج إرشادي قائم على نظرية التعلم الاجتماعي في تحسين فاعلية الذات لدى عينة من ذوي صعوبات التعلم. مجلة كلية التربية جامعة بنها، 27(106)، 443-464. https://search.shamaa.org/FullRecord?ID=305306

ثانياً: المراجع الأجنبية

Bagci, S. C. (2018). Does everyone benefit equally from self-efficacy beliefs? The moderating role of perceived social support on motivation. *The Journal of Early Adolescence*, 38(2), 204–219. https://doi.org/10.1177/0272431616665213

Bandura, A. (1997). *Self-efficacy: The exercise of control*. W. H. Freeman. https://psycnet.apa.org/record/1997-08589-000

Bandura, A. (2001). Social cognitive theory: An agentic perspective. *Annual Review of Psychology*, 52, 1–26. https://doi.org/10.1146/annurev.psych.52.1.1

Do, M. H., Cui, Y., Hill, N. E., Liang, B., & Perella, J. (2025). Adolescent self-efficacy and orientation about the future: Longitudinal associations with family/school support and sense of purpose. *Journal of Research on Adolescence*. https://doi.org/10.1111/jora.70055

Handaka, I. B., Taufiq, A., Yusuf, S., & Herdiansyah, D. (2024). *Analysis of personal responsibility by age.* Atlantis Press. https://doi.org/10.2991/978-94-6463-456-7_30

Lent, R. W., Brown, S. D., & Hackett, G. (1994). Toward a unifying social cognitive theory of career and academic interest, choice, and performance. *Journal of Vocational Behavior*, 45(1), 79–122. https://doi.org/10.1006/jvbe.1994.1027

Lent, R. W., Brown, S. D., & Hackett, G. (2000). Contextual supports and barriers to career choice: A social cognitive analysis. *Journal of Counseling Psychology*, 47(1), 36–49. https://doi.org/10.1037/0022-0167.47.1.36

Mergler, A., & Shield, P. (2016). The development and validation of the Personal Responsibility Scale for adolescents. *Journal of Adolescence*, 51, 37–48. https://doi.org/10.1016/j.adolescence.2016.05.001

Pedditzi, M. L. (2024). School satisfaction and self-efficacy in adolescents and intention to drop out of school. *International Journal of Environmental Research and Public Health*, 21(1), 111. https://doi.org/10.3390/ijerph21010111

Sagone, E., De Caroli, M. E., Falanga, R., & Indiana, M. L. (2020). Resilience and perceived self-efficacy in life skills from early to late adolescence. *International Journal of Adolescence and Youth*, 25(1), 882–890. https://doi.org/10.1080/02673843.2020.1771599

Smith, H. M., & Betz, N. E. (2000). Development and validation of a scale of perceived social self-efficacy. *Journal of Career Assessment*, 8(3), 283–301. https://doi.org/10.1177/106907270000800306

Smith, H. M., & Betz, N. E. (2002). An examination of efficacy and esteem pathways to depression in young adulthood. *Journal of Counseling Psychology*, 49(4), 438–448. https://doi.org/10.1037/0022-0167.49.4.438

Wancham, K., Thummanond, C., Surawatakul, L., Tinmala, D., & Sriklaub, K. (2025). Personal social responsibility scale for adolescence: Development and psychometric properties. *Qubahan Academic Journal*, 5(2), 279–292. https://doi.org/10.48161/qaj.v5n2a1594

Watson, K., van der Laan, L., & Imran, S. (2021). Personal responsibility and the role of self-identity in adolescents: A female regional Australian perspective. *International Journal of Humanities and Social Sciences*, 11(9). https://doi.org/10.30845/ijhss.v11n9p2